

روح المعاني

اﻟﻲ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻋﻨﻪ ﻭﺍﻟﻮﻟﻴﺪ ﺑﻦ ﻋﻘﺒﻪ ﻳﻮﻡ ﺑﺪﺭ ﻛﻼﻡ ﻓﻘﺎﻝ ﻟﻪ ﺍﻟﻮﻟﻴﺪ : ﺃﺳﻜﺖ ﻓﺎﻧﻚ ﺻﺒﻲ ﺃﻧﺎ ﺃﺷﺐ ﻣﻨﻚ ﺷﺒﺎﺑﺎ ﻭﺃﺟﻠﺪ ﻣﻨﻚ ﺟﻠﺪﺍ ﻭﺃﺩﺭﺏ ﻣﻨﻚ ﻟﺴﺎﻧﺎ ﻭﺃﺣﺪ ﻣﻨﻚ ﺳﻨﺎﻧﺎ ﻭﺃﺷﺠﻊ ﻣﻨﻚ ﺟﻨﺎﻧﺎ ﻭﺃﻣﻼ ﻣﻨﻚ ﺣﺸﻮﺍ ﻓﻲ ﺍﻟﻜﺘﻴﺒﻪ ﻓﻘﺎﻝ ﻟﻪ ﻋﻠﻲ ﻛﺮﻡ ﺍﻟﻲ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺟﻬﻪ : ﺃﺳﻜﺖ ﻓﺎﻧﻚ ﻓﺎﺳﻖ ﻓﻨﺰﻟﺖ ﻭﻟﻢ ﻧﺮﻩ ﺑﻬﺬﺍ ﺍﻟﻠﻔﺖ ﻣﺴﻨﺪﺍ ﻭﻗﺎﻝ ﺧﻔﺎﺟﻲ : ﻗﺎﻝ ﺇﺑﻦ ﺟﺮﺭ ﺇﻧﻪ ﻏﻠﻂ ﻓﺎﺣﺸ ﻓﺎﻥ ﺍﻟﻮﻟﻴﺪ ﻟﻢ ﻳﻜﻦ ﻳﻮﻡ ﺑﺪﺭ ﺭﺟﻼ ﺑﻞ ﻛﺎﻥ ﻃﻔﻼ ﻻ ﻳﺘﺼﻮﺭ ﻣﻨﻪ ﺣﻀﻮﺭ ﺑﺪﺭ ﻭﺼﺪﻭﺭ ﻣﺎ ﺫﻛﺮ .

ﻭﻧﻘﻞ ﺍﻟﺠﻼﻝ ﺍﻟﺴﻴﻮﻃﻲ ﻋﻦ ﺍﻟﺸﻴﺦ ﻭﻟﻲ ﺍﻟﺪﻳﻦ ﻫﻮ ﻏﻴﺮ ﻣﺴﺘﻘﻴﻢ ﻓﺎﻥ ﺍﻟﻮﻟﻴﺪ ﻳﺼﻐﺮ ﻋﻦ ﺫﻟﻚ ﻭﺃﻗﻮﻝ : ﺑﻌﺾ ﺍﻟﺄﺧﺒﺎﺭ ﺗﻘﺘﻀﻲ ﺃﻧﻪ ﻟﻢ ﻳﻜﻦ ﻣﻮﻟﻮﺩﺍ ﻳﻮﻡ ﺑﺪﺭ ﺃﻭ ﻛﺎﻥ ﺻﻐﻴﺮﺍ ﺟﺪﺍ ﺃﺧﺮﺝ ﺃﺑﻮ ﺩﺍﯞﺩ ﻓﻲ ﺍﻟﺴﻨﻦ ﻣﻦ ﻃﺮﻳﻖ ﺗﺎﺑﺖ ﺑﻦ ﺍﻟﺤﺠﺎﺝ ﻋﻦ ﺃﺑﻲ ﻣﻮﺳﻰ ﻋﺒﺪﺍﻟﻠﻪ ﺍﻟﻬﻤﺪﺍﻧﻲ ﻋﻨﻪ ﺃﻧﻪ ﻗﺎﻝ : ﻟﻤﺎ ﺃﻓﺘﻨﺢ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻲ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻣﻜﻪ ﺟﻌﻞ ﺃﻫﻞ ﻣﻜﻪ ﻳﺄﺗﻮﻧﻪ ﺑﺼﺒﻴﺎﻧﻬﻢ ﻓﻴﻤﺴﺢ ﻋﻠﻰ ﺭﺋﻮﺳﻬﻢ ﻓﺄﺗﻲ ﺑﻲ ﺇﻟﻴﻪ ﻭﺃﻳﺸﺎ ﻣﺠﻬﻮﻝ ﻣﻮﺳﻰ ﺃﺑﺎ ﺇﻥ : ﻗﺎﻝ ﻋﺒﺪﺍﻟﺒﺮ ﺇﺑﻦ ﺃﻥ ﺇﻻ ﺍﻟﺨﻠﻮﻕ ﺃﺟﻞ ﻣﻦ ﻳﻤﺴﻨﻲ ﻓﻠﻢ ﻣﺨﻠﻖ ﻭﺃﻧﺎ ﻋﺰﺯ ﺫﻛﺮ ﺍﻟﺰﺑﻴﺮ ﻭﻏﻴﺮﻩ ﻣﻦ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﻌﻠﻢ ﺑﺎﻟﺴﻴﺮ ﺃﻥ ﺃﻡ ﻛﻠﺜﻮﻡ ﺑﻨﺖ ﻋﻘﺒﻪ ﻟﻤﺎ ﺧﺮﺟﺖ ﻣﻬﺎﺟﺮﻩ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻓﻲ ﺍﻟﻬﺪﻧﻪ ﺳﻨﻪ ﺳﺒﻊ ﺧﺮﺝ ﺃﺧﻮﺍﻫﺎ ﺍﻟﻮﻟﻴﺪ ﻭﻋﻤﺎﺭﻩ ﻟﻴﺮﺩﺍﻫﺎ ﻭﻫﻮ ﻇﺎﻫﺮ ﻓﻲ ﺃﻧﻪ ﻟﻢ ﻳﻜﻦ ﺻﺒﻴﺎ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﻔﺘﺢ ﺇﺫ ﻣﻦ ﻳﻜﻮﻥ ﻛﺬﻟﻚ ﻛﻴﻒ ﻳﻜﻮﻥ ﻣﻤﻦ ﺧﺮﺝ ﻟﻴﺮﺩ ﺃﺧﺘﻪ ﻗﺒﻞ ﺍﻟﻔﺘﺢ ﻭﺑﻌﺾ ﺍﻟﺄﺧﺒﺎﺭ ﺗﻘﺘﻀﻲ ﺃﻧﻪ ﻛﺎﻥ ﺭﺟﻼ ﻳﻮﻡ ﺑﺪﺭ ﻓﻘﺪ ﺫﻛﺮ ﺍﻟﺤﺎﻓﻆ ﺇﺑﻦ ﺟﺮﺭ ﻓﻲ ﻛﺘﺎﺑﻪ ﺍﻟﺒﻴﺎﻧﻪ ﺇﻧﻪ ﻗﺪﻡ ﻓﻲ ﻓﺪﺍﺀ ﺇﺑﻦ ﻋﻢ ﺃﺑﻴﻪ ﺍﻟﺤﺮﺙ ﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﻭﺟﺮﻩ ﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﻋﻤﺮﻭ ﺑﻦ ﺃﻣﻴﻪ ﻭﻛﺎﻥ ﺃﺳﺮ ﻳﻮﻡ ﺑﺪﺭ ﻓﺄﻓﺘﺪﺍﻩ ﺑﺄﺭﺑﻌﻪ ﺍﻻﻑ ﻭﻗﺎﻝ : ﺣﻜﺎﻩ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﻤﻐﺎﺯﻱ ﻭﻟﻢ ﻳﺘﻌﻘﺒﻪ ﺑﺸﻴﺌﻪ ﻭﺳﻮﻕ ﻛﻼﻣﻪ ﻇﺎﻫﺮ ﻓﻲ ﺇﺭﺗﺴﺎﺋﻪ ﻭﻭﺟﻪ ﺇﻗﺘﺴﺎﺋﻪ ﺫﻟﻚ ﺃﻥ ﻣﺎ ﺗﻌﺎﻃﺎﻩ ﻣﻦ ﺃﻓﻌﺎﻝ ﺍﻟﺮﺟﺎﻝ ﺩﻭﻥ ﺍﻟﺼﺒﻴﺎﻥ ﻭﻫﺬﺍ ﺍﻟﺬﻱ ﺫﻛﺮﻧﺎﻩ ﻋﻦ ﺇﺑﻦ ﺟﺮﺭ ﻳﺨﺎﻟﻒ ﻣﺎ ﺫﻛﺮﻩ ﻋﻨﻪ ﺧﻔﺎﺟﻲ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺮﺣﻤﻪ ﻣﻤﺎ ﻣﺮ ﺃﻧﻔﺎ ﻭﻻ ﻳﻨﺒﻐﻲ ﺃﻥ ﻳﻘﺎﻝ : ﻳﺠﻮﺯ ﺃﻥ ﻳﻜﻮﻥ ﺻﻐﻴﺮﺍ ﺫﻟﻚ ﺍﻟﻴﻮﻡ ﺻﻐﺮﺍ ﻳﻤﻜﻦ ﻣﻌﻪ ﻋﺎﺩﻩ ﺍﻟﺤﻀﻮﺭ ﻓﺤﻀﺮ ﻭﺟﺮﻱ ﻻﻥ ﻭﺻﻔﻪ ﺑﺎﻟﻔﺴﻖ ﺑﻤﻌﻨﻰ ﺍﻟﻜﻔﺮ ﻭﺍﻟﻮﻋﻴﺪ ﻋﻠﻴﻪ ﺑﻤﺎ ﺳﻤﻌﺖ ﻓﻲ ﺍﻻﻳﺎﺕ ﻣﻊ ﻛﻮﻧﻪ ﺩﻭﻥ ﺍﻟﺒﻠﻮﻍ ﻣﻤﺎ ﻻ ﻳﻜﺎﺩ ﻳﺬﻫﺐ ﺇﻟﻴﻪ ﺇﻻ ﻣﻦ ﻳﻠﺘﺰﻡ ﺇﻥ ﺍﻟﺘﻜﻠﻴﻒ ﺑﺎﻟﺒﻠﻮﻍ ﺇﺫ ﺫﺍﻙ ﻛﺎﻥ ﻣﺸﺮﻭﻁﺎ ﺑﺎﻟﺘﻤﻴﻴﺰ ﻭﻻ ﺃﻥ ﻳﻘﺎﻝ : ﻳﺠﻮﺯ ﺃﻥ ﺗﻜﻮﻥ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﻘﺼﻪ ﺑﻌﺪ ﺇﺳﻼﻣﻪ ﻭﻗﺪ ﺃﻃﻠﻖ ﻋﻠﻴﻪ ﻓﺎﺳﻖ ﻭﻫﻮ ﻣﺴﻠﻢ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ : ﻳﺎ ﺃﻳﻬﺎ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺃﻣﻨﻮﺍ ﺇﻥ ﺟﺎﺀﻛﻢ ﻓﺎﺳﻖ ﺑﻨﺒﺂ ﻓﺘﺒﻴﻨﻮﺍ ﻓﻘﺪ ﻗﺎﻝ ﺇﺑﻦ ﻋﺒﺪﺍﻟﺒﺮ : ﻻ ﺧﻼﻑ ﺑﻴﻦ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﻌﻠﻢ ﺑﺘﺄﻭﻳﻞ ﺍﻟﻘﺮﺃﻥ ﺇﻧﻬﺎ ﻧﺰﻟﺖ ﻓﻴﻪ ﺣﻴﺚ ﺃﻧﻪ ﺑﻌﺜﻪ ﻣﺼﺪﻗﺎ ﺇﻟﻰ ﺑﻨﻲ ﺍﻟﻤﺼﻄﻠﻖ ﻓﻌﺎﺩ ﻭﺃﺧﺒﺮ ﺃﻧﻬﻢ ﺃﺭﺗﺪﻭﺍ ﻭﻣﻨﻌﻮﺍ ﺍﻟﺼﺪﻗﻪ ﻭﻟﻢ ﻳﻜﻦ ﺍﻟﺄﻣﺮ ﻛﺬﻟﻚ ﻻﻥ ﺍﻟﻔﺴﻖ ﻫﻬﻨﺎ ﺑﻤﻌﻨﻰ ﺍﻟﻜﻔﺮ ﻭﻫﻨﺎﻙ ﻟﻴﺲ ﻛﺬﻟﻚ ﺗﻢ ﺃﻋﻠﻢ ﺃﻥ ﺍﻟﻘﻮﻝ ﺑﺄﻧﻬﺎ ﻧﺰﻟﺖ ﻓﻲ ﻋﻠﻲ ﻛﺮﻡ ﺍﻟﻲ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺟﻬﻪ ﻭﺍﻟﻮﻟﻴﺪ ﻟﻜﻼﻡ ﺟﺮﻱ ﻳﻮﻡ ﺑﺪﺭ ﻳﻘﺘﻀﻲ ﺃﻧﻬﺎ ﻣﺪﻧﻴﻪ ﻭﺍﻟﻤﺨﺘﺎﺭ ﻋﻨﺪ ﺑﻌﻀﻬﻢ ﺧﻼﻓﻪ .

ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها بيان إجمالي لمن قابل آيات الله تعالى بالإعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لإستبعاد الإعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وإرشادها إلى سعادة الدارين كما في قول جعفر بن عليه الحارثي : ولا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها والمراد أن ذلك أظلم من كل ظالم أنا من المجرمين قيل : أي من كل أتصف بالإجرام وكسب الأمور المذمومة وإن لم يكن بهذه المنايا منتقمون 22 فكيف ممن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرما من كل جرم ففي الجملة إثبات الإنتقام منه بطريق برهاني